## البحث العشرون

## معاد اليهود غلى فلسطين

## الوارد ذكره في التوراة

## ومزاعم الصهيونيين في ذلك

---

ردودي في هذا الموضوع على الدكتور (وايزمن) زعيم الصهيونية. وعلى الدكتور (أوشسكين) رئيس جمعية ألكيرن كيمت اليهودية.وعلى الدكتور (هاركلفز) المسيحي رئيس المستشفى الإنكليزي بغزة. وجوابي على سؤال وجه إلي:- "هل في القرآن ما يدل على الدولة اليهودية التي وجدت في فلسطين الآن أم لا؟".

إن معاد اليهود إلى فلسطين ورجوعهم إليها قد ورد في عدة آيات من التوراة. وقد ورد أيضا في بعض الأحاديث النبوية الشريفة ما يفيد أن فلسطين هي أرض المعاد. ولكن البسطاء قد فهموا من هذا الحديث أن أرض فلسطين ستكون في الآخرة يوم القيامة أرض المعاد العام لجميع الأنام. واضطروا بسبب ذلك أن يقولوا أن الله تعالى سوف يمدد أرض فلسطين بحيث تتسع جميع المخلوقات من بدايتهم إلى نهايتهم في آن واحد، مع أنه لا داعي لهذا الفهم ولا موجب لهذا التمديد ما دام يمكن حمل الحديث على ما هو مذكور في التوراة ومعلوم للجميع من أن فلسطين هي أرض معاد اليهود في الدنيا.

ولكن اليهود أنفسهم قد غلطوا أيضا في فهم آيات التوراة الدالة على ذلك وتصورا أنهم سوف يعودون كلهم إليها مرة أخرى في آخر الزمان أيضا بعد عودتهم الأولى من سبيهم. وها هم الآن يعدون العدة لهذه العودة الثانية بسبب وعد بلفور وزير خارجية انكلترا لهم بذلك ولم يعلموا أن الله تعالى لا يجب عليه أن يوفي بوعد بلفور وإنما يوفي بوعد نفسه الذي ذكره في التوراة وقد وفي به بالفعل فيما مضى بعد سبيهم إلى البلاد الأخرى.

وكان أوشسكين رئيس جمعية ألكيرن كايمت الصهيونية قد كتب مقالا بالفرنسية ترجمته جريدة فلسطين مآله أنه لا بد من رجوع الملك لليهود في أرض فلسطين بمقتضى كلام التوراة وأنه لا يمكن لأية قوة في العالم أن تمنعهم من ذلك، وكنت رددت عليه في العدد ١٤٠ من الجريدة المذكورة المؤرخ في ٢٤ تشرين سنة ١٩٢٩ بردود من نفس هذه التوراة وكذلك زعم نفس هذا الزعم الدكتور وايزمن زعيم الصهيونية أمام لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية التي حضرت لفلسطين سنة ١٩٤٦ لبحث المشكلة الفلسطينية قائلا (إن إله إسرائيل قد وعد أن يعيده في يوم من الأيام إلى بلاده ومملكته فلسطين) وكنت رددت عليه برد أرسلته إلى الهيئة العربية العليا في ٢٦ آذار من السنة المذكورة لكي يلقى أمام لجنة التحقيق المذكورة ردا على الدكتور وايزمن في دعواه المتقدمة.

وكذلك كان قد زعم نفس هذا الزعم الدكتور هاركلفز المسيحي رئيس المستشفى الإنكليزي بغزة وكنت رددت علي في جريدة فلسطين في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ وحيث أن هذه الردود الثلاثة لها ارتباط وثيق ومناسبة قوية بمسألة ميعاد اليهود إلى فلسطين المذكورة هنا فإني أريد أن أذكر ملخصا مجملا لما فيها من الفائدة القيمة فأقول:

## ردودي على مزاعم اليهود

## في أنهم لا بد وأن يملكوا فلسطين

إن اليهود يدعون أن الله تعالى قد وعدهم في التوراة أن يعودوا إلى فلسطين وأن يمتلكوها وأن يصبحوا أرباب ملك وسلطان فيها كما يشير إلى ذلك الدكتور وايزمن زعيم الصهيونية في شهادته أمام لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية وما يصر بذلك الدكتور أوشسكين رئيس جمعية الكيرن كيمت اليهودية في مقالة الذي ترجمته جريدة فلسطين عن الفرنسية وكما يدعي الدكتور (هاريجريفز) رئيس المستشفى الانجليزي بغزة في مناظرتنا معه وقد جعل اليهود ومن تابعهم هذا الوعد حجة لهم الآن على

تمسك اليهود بمحاولة رجوعهم إلى فلسطين وعلى اعتقادهم بوجوب حصول ذلك فعلا وعلى أن هذا حق من حقوقهم من الوجهة الدينية حسب نص التوراة.

ولكن الحقيقة أن التوراة ليس فيها أدنى دلالة على ما يقولون، ولا أية حجة لما يزعمون، وإني أذكر هنا ما استدل به هؤلاء الدكاترة الثلاثة على دعواهم مبينا غلطهم في هذا الاستدلال ثم أذكر أدلتي على عكس ما يدعون بنفس آيات التوراة والإنجيل مؤيدا ذلك بنص القرآن الكريم ليكون ذلك منارا لأرباب الأديان الثلاثة.

## ثمانية أدلة من التوراة على ما يزعمون

## وردودي على هذه الأدلة

دليلهم الأول على ما يزعمون: قول التوراة في سفر التكوين ١٧:٨ خطابا من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام (وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا) قالوا أن هذه الآية صريحة في أن الله تعالى قد وعد اليهود أن يعطيهم البلاد المقدسة ملكا أبديا لهم وحينئذ فلا بد من رجوعهم إليها بعد خروجهم منها ليتحقق مضمون هذه الآية من ملكهم لها ملكا أبديا.

وقد قلت في الرد عليهم أن نسل إبراهيم الوارد في هذه الآية كما يصدق على اليهود الذين هم من نسل ولده إسماعيل وحيث أن اليهود بعد ملكهم للبلاد المقدسة قد طردهم الله منها طردا أبديا كما سيأتي التصريح به في نفس التوراة فقد لزم حينئذ أن يبقى مضمون هذه الآية صادقا على العرب الذين هم ملاكها الآن وأن تبقى في أيديهم إلى الأبد بمقتضى هذه الآية لأنهم من نسل إبراهيم أيضا.

وبهذا تكون آيات إعطاء البلاد المقدسة الأبدي لنسل إبراهيم باقية على دقها وغير مناقضة لآيات طرد اليهود الأبدي منها ولكنهما يتناقضان لو أردنا من نسل إبراهيم خصوص اليهود كما يدعون لأن اليهود بسبب انفصالهم عن البلاد المقدسة من نحو ألفي سنة لا يصح أن يقال عنهم أنهم ملكوها ملكا أبديا أما العرب فبالنظر لكونهم لم ينفصلوا عنها بعد ملكهم لها ولم يرد فيهم تصريح بطردهم منها طردا أبديا كما ورد ذلك في اليهود فقد أصبح لزاما أن يراد من نسل إبراهيم الذين يملكون البلاد المقدسة ملكا أبديا هم نسله العرب الذين ملكوها بعد طرد اليهود منها طردا أبديا وإلا كانت آيات التوراة هذه أما كاذبة أو متناقضة.

دليلهم الثاني على ما يزعمون قول التوراة في أرميا ٣٠:٣:- (لأنه ها أيام تأتي، يقول الرب وأرد سبى شعبي إسرائيل وبيهوذا، يقول الرب وارجعهم إلى الأرض التي أعطيت آباءهم إياها فيمتلكونها)، ولكن هذه الآية إنما تفيد أن وعدهم برجوعهم غلى الأرض المقدسة إنما يكون بردهم غليها من سبيهم فيمتلكونها في تلك الأيام عقب السبي كما حصل فيما مضى لا أنهم يمتلكونها الآن بعد طردهم الأبدي.

دليلهم الثالث قولهم في أرميا ٣١:١٥:- (هكذا قال الرب صوت سمع من الرامة نوح وبكاء مر. راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين، هكذا قال الرب امنعي صوتك عن البكاء وعينك عن الدموع لأنه يوجد جزاء لعملك، يقول الرب فيرجعون من أرض العدو، ويوجد رجاء لآخرتك، يقول الرب فيرجع الأبناء إلى تخمهم) ولكن هذه الآيات إنما تفيد أن رجوع الأبناء إلى تخمهم الموعود به يكون برجوعهم من أرض عدوهم حتى تنطبق الآية عليهم لا من أرض صديقهم الإنكليز وأمريكا. والمراد من عدوهم هنا إما فرعون مصر لأن هذه الآية تخاطب راحيل بقولها (ويوجد رجاء لآخرتك) أي آخرة راحيل وأبناؤها قد رجعوا فعلا فيما مضى من مصر أرض عدوهم فرعون، وإما أن يراد من عدوهم هنا ملك بابل الذي سباهم بالسيف والجوع حسب الآيات التي بعدها. وعلى كل حال فليس المراد من رجوعهم في هذه الآيات رجوعهم في هذه الأيام كما يدعي اليهود.

دليلهم الرابع قولها في أرميا ٣٢:٣٦ (هكذا قال الرب إله إسرائيل عن هذه المدينة التي تقول أنها قد دفعت ليد ملك بابل بالسيف والجوع والوباء، ها أنا ذا أجمعهم من كل الأرض التي طردتهم إليها بغضبي وغيظي وبسخطٍ عظيمٍ، وأردهم إلى هذا الموضع وأسكتهم آمنين)، ولكن هذه الآية إنما تفيد أن الذين يريد الله أن يجمعهم من كل الأرض التي طردوهم إليها بغضبه وسخطه

ويريد أن يردهم إلى مواضعهم آمنين هم الذين دفعهم ليد ملك بابل بالسيف والجوع والوباء وقد حصل هذا فيما مضى فلا يصح أن يفسر بالحالة الحاضرة كما يدعون.

دليلهم الخامس قوليها في أرميا ٣٢:٤٣: (لأنه هكذا قال الرب كما جلبت على هذا الشعب كل هذا الشر العظيم هكذا أجلب أنا عليهم كل الخير الذي تكلمت به إليهم. فتشترى الحقول في هذه الأرض التي تقولون إنها خربة بلا إنسان وبلا حيوان وقد دفعت ليد الكلدانيين. يشترون الحقول بفضة ويكتبون ذلك في صكوك ويختمون ويشهدون شهودا في أرض بنيامين، وحوالي أورشاليم، وفي مدن يهوذا، ومدن الجبل ومدن السهل، ومدن الجنوب لأنى أرد سبيهم يقول الرب)، ولكن هذه الآيات صريحة في أن ما أخبرت قد حصل وتحقق فعلا فيما مضى أيام رجوعهم من سبى بابل لأنها تقول (لأنى أرد سبيهم) خصوصا وأن فلسطين الآن ليست في يد الكلدانيين بل في يد العرب، وليست خربة بلا إنسان وبلا حيوان ولكنها كانت كذلك أيام سبى بابل، وحينئذ فليس في هذه الآيات أدنى دلالة على رجوعهم الآن وشرائهم لها بالفضة وكتابة ذلك في صكوك الخ..كما يدعون الآن لأن مضمون هذه الآيات كان في حادثة مضت وانقضت.

دليلهم السادس قول التوراة في حزقيال ٣٦:١٦ (إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم وأفعالهم، كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث فسكبت غضبي عليهم لاجل الدم الذي سفكوه على الأرض. وبأصنامهم نجسوها. فبددتهم في الأمم فتذروا في الأراضي، كطريقهم وكأفعالهم دنتهم، فلما جاءوا إلى الأمم حيث جاءوا، نجسوا اسمي القدوس إذ قالوا لهم هؤلاء شعب الرب، وقد خرجوا من أرضه، فتحنثث على اسمي القدوس الذي نجسه بيت إسرائيل في الأمم حيث جاءوا، لذلك. فقل لبيت إسرائيل هكذا قال السيد الرب ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل، بل لأجل اسمي القدوس الذي نجستموه في وسطهم، فتعلم الأمم أني أنا الرب، يقول السيد الرب، حين أتقدس فيكم قدام أعينهم، و آخذكم من بين الأمم، وأجمعكم من جميع الأراضي، وآتي بكم إلى أرضكم)، ولكن هذه الآيات إنما هي واردة في حق السابقين الأولين من اليهود الذين حينما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم و أفعالهم فبددهم الله في الأمم فتذروا في الأراضي ونجسوا اسمه القدوس فيها كلها فخوفا من بقاء هذه النجاسة في الأراضي وفي الأمم الأخرى التي سكنوا بينهم أراد الله تعالى أن يجمعهم في أرضهم ليحصر نجاستهم فيهم وفسادهم وبغيهم بينهم فلا يتعدى ذلك إلى أحد من الأمم الأخرى وحتى لا يلام الله على إبقاء نجاستهم ومفاسدهم منشورة بين الناس ولكن لما كثرت نجاستهم حتى في أرضهم وعظمت مفاسدهم حتى فيما بينهم فرقهم الله عن بعضهم حتى لا يؤذي بعضهم بعضا ومزقهم شر ممزق ولكن في العالم كله لا في الشرق فقط كما فعل الله معهم أولا لأجل أن يتذروا في عموم الأرض ولا يبقى لهم كيان مطلقا، ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة والخزي والعار حتى لا يقدروا أن يؤثروا على غيرهم وحتى لا يرضى أحد بالاقتراب منهم والانتساب إليهم فكان هذا جزاءهم بعد كثرة إحسان الله لهم. وحينئذ فهل يعقل بعد ذلك أن يعطيهم القوة والنفوذ حتى يرجعوا إلى إيذاء الناس الذين يعيشون بينهم وان يجمعهم الله في أرض أصبحت ملكا لغيرهم ومسكنا لسواهم خصوصا بعد أن صرح تعالى في كتبه الثلاثة المقدسة بأنه لا يعود ينظر إليهم إلى الأبد وإلى النهاية وإلى يوم القيامة كما سيأتي توضيح ذلك.

دليلهم السابع قول التوراة في عاموس ٩:١٤ : (وأراد سبى شعبي إسرائيل فيبنون مدنا خربة ويسكنونها ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتها لهم)، ولكن هذه الآية تقول (وارد سبي شعبي إسرائيل) وقد رد سبيهم بالفعل فيما مضى وأما قولها (وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم) فهذا حاصل لحد الآن فإن بني إسرائيل لم يقلعوا كليا من فلسطين بل هم باقون فيها إلى الآن ولكن بصفة أفراد وهيئات لا بصفة ملك وسلطان فالآية قد صدقت فيما تقول ولكنها لا تدل أبدا على ملك ومجد وسلطان كما يزعمون الآن.

دليلهم الثامن: قول التوراة في زكريا ١٣:٨ (وتكون في كل الأرض يقول الرب أن ثلثين منها يقطعان ويموتان، والثلث يبقى فيها، وأدخل الثلث في النار، وأمحصهم كمحص الفضة، وأمتحنهم امتحان الذهب، وهو يدعو باسمي، وأنا أجيبه، أقول هو شعبي، وهو يقول الرب إلهي)، ولكن هذه الآية لا تنطبق أيضا على الحالة الحاضرة الآن وإنما هي في السبى بدليل قوله يعدها ويخرج نصف المدينة إلى السبى وبقية الشعب لا يقطع من المدينة والذي لم يقطع من المدينة هم الذين كانوا قد آمنوا بالمسيح عليه السلام أيام السبى الأخير لأن هؤلاء هم الذين محصهم الله كمحص الفضة وامتحنهم امتحان الذهب فآمنوا وقالوا الرب إلهنا وهم الذين يقول في المدينة كما تصرح بذلك الآية وليسوا هم الذين يأتون من الخارج كما هي الحال الآن وعلى كل فليس في هذه الآية ما يدل على رجوعهم في هذه الأيام. كما يدعون.

هذه هي أصرح الآيات الواردة في التوراة على ما يزعمون وقد عرفت أنه لا يوجد آية منها تدل على أنهم يرجعون إلى فلسطين الآن ويملكونها وبهذا سقطت دعواهم من الوجهة الدينية التي بتبجحون بها ويستندون عليها الآن في مزاعمهم.

## ثمان آيات من التوراة

## تدل على عكس ما يزعمون

### وعلى أن اليهود قد انتهى عهدهم وأنه لن يعود إليهم مجدهم

أما الآيات التي تدل على عكس ما يدعون بل تصرح بأن اليهود قد انتعى عهدهم أمام الله وأنهم طردوا من البلاد المقدسة طردا أبديا وأنهم لا يعودون إلى مجدهم وملكهم وأنهم شطبوا من سفر الأحياء كأمة لا كأفراد فمنها أولا قول التوراة في المزمور ٢٨:٦٩ عن اليهود (ليمحوا من سفر الأحياء) فالله سبحانه وتعالى قد أمر في هذه الآية وقرر فيها محو اليهود من سفر الأحياء أي قرر وأمر أنهم لا يكونون أحياء كأمة صاحبة ملك ومجد وسلطان، وليس المراد حياة الأفراد لأنهم بهذا المعنى لا يزالون أحياء.

ومنها ثانيا قولها في المزمور أيضا ١٥:٨٣ (ليخزوا، ويرتاعوا إلى الأبد وليخجلوا ويبيدوا) فهذه الآية تفيد أن خزيهم وارتياعهم أبدي لا نهاية له فكيف حينئذ يرجعون الآن إلى طمأنينتهم ومجدهم وملكهم وتفيد أيضا أن الله أمر وقرر أن يبيدوا من على وجه الأرض أي أن يبيدوا كأمة لا كأفراد والإبادة كأمة هي الإبادة الحقيقة التي تصلح أن تكون جزاءا وعقابا. أما إبادة الأفراد فهي طبيعية لا تصلح للجزاء لأن كل فرد لا شك بائد وهالك.

ومنها ثالثا قولها في أرميا ٤:١٧ ( لأنكم قد أضرمتم نارا بغضبي تتقد إلى الأبد) فهذه الآية تفيد أن نار غضب الله لا تزال متقدة عليهم إلى الأبد وحينئذ فلن يرجعوا إلى مجدهم إلى الأبد.

ومنها رابعا قولها في أرميا أيضا ٣٩:٢٣ (لذلك ها أنا ذا أنساكم نسيانا، وأرفضكم من أمام وجهي أنتم، والمدينة التي أعطيتكم، وآباءكم إياها، وأجعل عليكم عارا أبديا وخزيا لا ينسى) فهذه الآية تفيد أن الله تعالى قد رفضهم رفضا باتا إلى الأبد وجعل عارهم أبديا وخزيهم ليس منسيا وهذا أصرح من الصريح في عدم إمكان رجوعهم إلى مجدهم وملكهم.

ومنها خامسا قولها في هوشع ١٥:٩ (من أجل سوء أفعالهم أطردهم من بيتي لا أعود أحبهم) فهذه الآية تفيد أن الله تعالى يطردهم من بيته وهي البلاد المقدسة وأنه لا يعود يحبهم أي بإرجاعهم إلى هذا البيت لأن الإرجاع هو المقابل لمعنى الطرد فيفسر عدم الحب هنا بعد الإرجاع طبعا وهذا يفيد أن طردهم منه أبدي حيث قال (لا أعود أحبهم) أي لا أعود أرجعهم.

ومنها سادسا قولها في عاموس ٢:٥ (سقطت عذراء إسرائيل لا تعود تقوم انطرحت على أرضها ليس من يقيمها) فهذه الآية تفيد أن بني إسرائيل قد سقطوا سقوطا أبديا لا يمكن أن يقوموا منه بأنفسهم ولا أن يقيم منه غيرهم أيضا أي لا يقدرون على عودتهم إلى مجدهم وملكهم بأنفسهم ولا يقدر أحد أن يعيدهم إلى ذلك ولو ساعدتهم ملوك الأرض.

ومنها سابعا قولها في عاموس أيضا ٢:٨ (فقال لي الرب قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل لا أعود أصفح له بعد) فما دام أن الرب إله إسرائيل قد صرح بأنه لا يصفح عنهم أبدا وصرح أيضا أن نهايتهم قد أتت فكيف يدعون حينئذ أنهم سيعودون إلى مجدهم وملكهم بعد هذين التصريحين الخطيرين.

ومنها ثامنا قولهم في عاموس ٧:٨ (قد أقسم الرب بفخر يعقوب أني لن أنسى على الأبد جميع أعمالهم، أليس من أجل هذا ترتعد الأرض وينوح كل ساكن فيها) فاقسام الله تعالى بعدم نسيان أعمالهم إلى الأبد صريح في أنه لا ينظر إليهم ولا يعيد لهم مجدهم ومملكهم إلى الأبد وإلا فيكون الله قد نسى. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

هذا قليل من كثير مما في التوراة الذي يدل على أن الله تعالى قد نزع ثقته من اليهود وأنه لا يريد أبدا أن يرجعهم إلى بلادهم وملكهم الذي نزعه منهم.

## ثلاث آيات من الإنجيل

## تدل على عكس ما يزعمون أيضا

وأما الإنجيل فإنه يصرح بذلك في عدة مواضع منها أولا: قوله عن اليهود ،(ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية) فاستمرار غضب الله عليهم إلى النهاية صريح في أنه لا يعود إليهم مجدهم وملكهم في يوم من الأيام.

ومنها ثانيا: قوله في متى ٢١:٤٣ على لسان المسيح عليه السلام خطابا لليهود (إن ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة أخرى تعمل أثماره) والأمة الأخرى التي أعطيت هذا الملكوت المنزوع من اليهود والتي عملت أثماره هي الأمة العربية كما هو مشاهد إلى اليوم سواء أريد من الملكوت في هذه الآية الملكوت المادي أي الملك والسلطان أو الملكوت الروحي أي النبوة لأن العرب قد أعطوا هذا الملكوت بمعنى النبوة أيضا بعد بني إسرائيل. أما المسيح عليه السلام فليس مرادا هنا (أولا) لأنه من بني إسرائيل لا من أمة أخرى والآية تقول (يعطى لأمة أخرى). وثانيا: لأن المسيح نفسه بين أن هذا الملكوت إنما سيأتي بعده حيث أنه كان في صلواته يطلب دائما مجيئه بقوله (ليأت ملكوتك) وحيث أنه علم اتباعه من بعده أن يطلبوه أيضا في صلواتهم. وبالجملة فإن الأمة العربية قد أعطيت الملكوت المادي الروحاني الذي نزع من اليهود في البلاد المقدسة وحيث أنه نزع فيها وأعطى لأمة أخرى فلا معنى لا دعائه الآن.

ومنها ثالثا ما قاله المسيح في المثل الوارد في متى ٢١ وفي مرقس ١٢ وفي لوقا ٢٠ وهو (إنسان غرس كرما، وسلمه إلى كرامين وسافر زمنا طويلا، وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبدا لكي يعطوه من ثمر الكرم، فجلده الكرامون وأرسلوه فارغا، فعاد وأرسل عبدا آخر، فجلدوا ذلك أيضا وأهانوه وأرسلوه فارغا.ثم عاد فأرسل ثالثا فجرحوا هذا أيضا وأخرجوه، فقال صاحب الكرم ماذا أفعل أرسل (ابني الحبيب) لعلهم إذا رأوه يهابون فما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث فأخرجوه خارج الكرم فقتلوه. فماذا يفعل صاحب الكرم يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين). انتهى.

فهؤلاء الكرامين وهم بنوا إسرائيل الذين سلمهم الله كرمه وهي البلاد المقدسة قد فعلوا فيها مع الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم قبل المسيح أفاعيل كثيرة فقد جلدوا بعضهم وجرحوا بعضهم ورجموا بعضهم إلخ.. فأرسل الله لهم (ابنه الحبيب) وهو المسيح عليه السلام أي ابنه الروحي فتآمروا على قتله فلما فعلوا يه ما فعلوا غضب عليهم صاحب الكرم وهو الله تعالى وأهلكهم وأعطى هذا الكرم أي البلاد المقدسة إلى كرامين آخرين وهم العرب كما هو معروف في التاريخ وكما هو مشاهد إلى اليوم وحينئذ فكيف يدعون ملكية هذا الكرم أي البلد المقدس بعد أن نزعه الله منهم وأعطاه لغيرهم وبعد أن أهلكهم كأمة لا حول لها ولا سلطان. وهذا ما تفيده الآية بل تصرح به.

## خمس آيات من القرآن

## تدل أيضا على عكس ما يزعمون

أما آيات القرآن التي تدل على عكس ما يزعمه اليهود فكثيرة منها (أولا) قوله تعالى: (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا) أي أينما وجدوا سواء في فلسطين أو غيرها وما دام أن الله تعالى قد ضرب عليهم الذلة في أي مكان وجدوا فيه فكيف يمكن أن يكون لهم في فلسطين ملك وسلطان في يوم من الأيام كما يدعون.

ومنها ثانيا قوله تعالى (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب)، فإذا كان الله تعالى قد يأذن وأعلن للعالم أنه لا بد وأن يبحث ويسلط عليهم دائما إلى يوم القيامة من يهينهم ويسومهم سوء العذاب فكيف مع هذا يكون لهم في فلسطين عز ومجد وملك وسلطان كما يزعمون.

ومنها ثالثا قوله تعالى خطابا للمسيح عليه السلام (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) والذين اتبعوا المسيح وآمنوا به هم النصارى والمسلمون لأن المسلمين من المؤمنين بالمسيح لا من الكافرين به وإنما الكافرون به هم اليهود فهذه

الآية تصرح بأن النصارى والمسلمين لا بد وأن يكونوا دائما فوق اليهود إلى يوم القيامة في فلسطين وغيرها وهذا عكس ما يزعمون وعكس ما يطلبون.

ومنها رابعا قوله تعالى:- (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك ما عصوا وكانوا يعتدون)، فهذه الآية تفيد أن الله تعالى قد ضرب على اليهود الذلة والمسكنة وأنه غضب عليهم بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء وعصيانهم واعتدائهم على الناس. وإذا كان الله تعالى قد أذل قوما وغضب عليهم فيكف يدعون بعد ذلك العزة والمجد والملك والسلطان في أي مكان كان كما يدعي هؤلاء اليهود في فلسطين الآن.

ومنها خامسا: لعن الله اليهود في كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون). وقوله:- (كما لعنا أصحاب السبت). وقوله:- (بل لعنهم الله بكفرهم). وقوله:- (فما نقضهم ميثاقهم لعناهم) وقوله:- (ولعنوا بما قالوا) إلى غير ذلك من الآيات التي تلعنهم بسبب نقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) واللعن معناه الطرد من الرحمة وحينئذ فكيف يرجعون إلى مجدهم وملكهم في فلسطين وهو أعظم رحمة لهم مع أنهم مطرودون من الرحمة إلى غير ذلك من آيات القرآن الكثيرة التي تدل على غضب الله على اليهود وعلى طردهم وإذلالهم على يوم القيامة.

وحينئذ فقد ظهر أن الكتب الإلهية الثلاثة قد أجمعت على أن اليهود لا تقوم لهم قائمة في زمن من الأزمان ولا مكان من الأمكنة (إلى الأبد) حسب تعبير التوراة (وإلى النهاية) حسب تعبير الإنجيل (وإلى يوم القيامة) حسب تعبير القرآن وأنه لا حق لهم في فلسطين من الوجهة الدينية أبدا، وعليه فمن أين يصح لليهود أن يدعوا هذا الحق الديني، وعلى أي أساس بني زعيمهم وايزمن شهادته على ذلك وبأي دليل استدل رئيس جمعية الكيرن كايمت ومن على شاكلته على رضا الله عن اليهود الآن وإرجاعهم إلى فلسطين الذي يخالف به صريح التوراة والقرآن والإنجيل، وبأي استناد وعلى أي اعتماد قال الرئيس المذكور (أنه لا تستطيع أية معارضة ولا أية معركة فكرية ولا أية حر مهما كان مصدرها ان تقف حاجزا أمام تحقيق النبوة التاريخية رجوع الأبناء إلى تخمهم) ومن أين جاز لبريطانيا وأمريكا وهما دولتان مسيحيتان أن يقوما بتدعيم وتثبيت هذا الحق المزعوم الباطل الذي ينكره المسيح والذي تناقضه جميع الكتب المقدسة خصوصا وأنه لا يستغرب على من فعلوا مع نفس المسيح ما فعلوه أن يفعلوا ما يشابه ذلك في مقدساته وفي بلده بل وفي قبره ومهده، مما لا يصح أن يرشى به مسيحي على ووجه الأرض ولا يجوز أن تقبله مسلم في طولها والعرض.

## مساعدة بريطانيا وأمريكا لليهود

## إنما هي ضد ديانتهم المسيحية

وإذا كانت بريطانيا وأمريكا تريدان مساعدة اليهود في إسكانهم فلسطين على أمل أن يعتنقوا الديانة المسيحية متى سكنوا فيها استنادا على آراء وأفهام بعض القسس أن يندغموا في المسيحيين ويتلاشوا فيهم ويكونوا جزاء منهم ويتركوا دينهم وقوميتهم التي إنما يشتغلون الآن لإقامتها وتقويتها فإن هذا الأمل بعيد جدا إذا لم نقل أنه مستحيل على أخلاق اليهود وأطوارهم المعلومة فإنهم إذا ل يؤمنوا بالمسيح ولم يندغموا في المسحيين وهم أشلاء متفرقون لا حول لهم ولا قوة ولا قبة لهم ولا قومية فكيف يرضون أن يعتقوا دينهم وأن يندغموا فيهم بعد أن تقوى قوميتهم في هذه البلاد المقدسة التي يعتقدون أنها مهد دينهم وبعد أن يقوم سلطانهم في البلاد التي يزعمون أنها وطنهم وموضع ملكه أن هذا الأمل من هؤلاء القسيسين ومن تابعهم إنما هو وهم صرف وخيال محض وأضغاث أحلام. وها هي علامات ودلائل ذلك ظاهرة للعيان فيما يفعله اليهود الآن مع البريطانيين من قتل ونسف وحرق وخسف. فإذا كان اليهود وهم ضعفاء الآن يفعلون ما يفعلون مع الحكومة البريطانية حامية الإيمان المسيحي فكيف بهم إذا كانوا أرباب قوة وملك وسلطان.

وعلى كل حال فإن مساعدة بريطانيا وأمريكا لليهود في فلسطين إنما هي مساعدة لأعداء المسيح على المسيح في بلده، وتمكين لهم من مواطن مقدساته ومن قبره ومهده، ومخالفة صريحة لنص إنجيله، وتقوية لهم على زيادة الكفر به، وحينئذ فهل يصح في عقل ودين أن هاتين الدولتين المسيحيتين تفعلان ذلك غلا إذا قلنا إنهما أصبحتا سياسيا دولتين يهوديتين لا مسيحيتين، غاضين

النظر عن الدين والعقل وعن الحق والعدل التي هي مقومات الدول وعناصر بقائها في العالم. وأما حضرات الدكاترة الثلاثة المتقدم ذكرهم فإنهم ما قالوا ما قالوه ولا كتبوا ما كتبوه، ولا شهدوا بما شهدوه إلا لأجل الدعاية وإيهام الرأي العام الأوروبي بأنه حتى الكتب المقدسة ونبؤات الأنبياء تؤيد وعد بلفور. ولأجل أن يوهموا الرأي العام الإسلامي والمسيحي واليهودي بأنه حتى الأنبياء والمرسلون والكهنة والقديسون موافقون ومبشرون بالوطن القومي اليهودي والمملكة اليهودية فضلا عن وعد بلفور ومساعدة الإنكليز والأمريكان وموافقة عصبة الأمم ليقووا بذلك عزم من يساعدهم، ويكسروا به شوكة من ينازعهم، ويلقوا اليأس في قلوب من يعارضهم.

ولكن يحب أن يسوء فألهم وأن يخيب ظنهم، وأن ينقطع أملهم من الوجه الدينية، كما قدمناه لك من آيات التوراة والإنجيل والآيات القرآنية، وكذلك من الوجهة السياسية والطبيعية كما سيظهر في المستقبل أن شاء الله تعالى (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) (إن ربيك هو أعلم بالمعتدين) انتهى ملخص ردودي على الدكاترة الثلاثة التي نشرت في الجرائد والتي كان آخرها سنة ١٩٤٦.

## تملك اليهود لفلسطين وزوال ذلهم فيها

### إذا تمسكوا بحبل من الله وحبل من الناس بنص القرآن

### وبيان أنه لا يناقض بين آيات القرآن في هذا الموضوع

بعد كتابة ما تقدم وبعد أن أعلنت أميركا أن يكون في فلسطين مملكة يهودية، ثم تبعها في ذلك باقي الدول الغربية، وبعد أن أعلنوا جميعا أن تكون هذه الدولة مستقلة ذات سيادة، وأن تكون عضوا في هيئة الأمم المتحدة، وبعد أن استولت هذه الدولة على معظم بلاد فلسطين، وأخرجت منها أهلها العرب الأصليين، وأسكنت بدلهم شذاذ الآفاق من اليهود، وملأت هذه البلاد المقدسة بالمعدات والقوى والعساكر والجنود، حتى استتب لها الأمر، وتم لها النصر، بعد هذا كله شرع الناس يتساءلون. كيف حصل هذا لليهود وآيات التوراة والإنجيل والقرآن تدل دلالة ظاهرة على أنه لا يحصل لهم مجد ولا يتحقق لهم ملك ولا يكون لهم سلطان. وقد كان هذا السؤال كثيرا ما يجول بخاطري عقب لامتلاكهم لفلسطين كما أن كثيرا من الناس كانوا يسألونني مثل هذا السؤال، بعد حصول ما حصل مما هو واقع الآن.

وقد وفقني الله لمعرفة الجواب من القرآن نفسه الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) حيث قال تعالى في سورة آل عمران ١١٢ (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) فقد استثنى الله من دوام الذلة عليهم حالة واحدة هي حالة تمسكهم بحبل الله وحبل من الناس. وحبل الله هو الإتحاد وعدم التفرق بنص قوله تعالى (واعتصموا بحب الله جميعا ولا تفرقوا) واليهود في هذه الأيام قد اعتصموا بهذا الحبل أي حبل اتحادهم مع بعضهم واعتصموا أيضا بحبل من الناس وهو اتفاقهم مع الإنكليز والأمريكان وكثير من الأمم والدول الغربية على لزوم مساعدتهم ومعاونتهم حتى استصدروا وعد بلفور بوطن قومي لهم في فلسطين. وقد وافقت على ذلك بضع وخمسون دولة من دول الغرب على تنفيذ هذا الوعد بل على جعل فلسطين مملكة مستقلة لليهود داخلة في هيئة الأمم المتحدة. وكفى بذلك أن يكون حبلا لهم من الناس. فالحبلان اللذان أشار القرآن بأن بهما تزول ذلة اليهود عنهم قد حصلا لهم فعلا وأصبحوا الآن في عزة ومجد وملك وسلطان ما داموا متمسكين بهذين الحبلين.

## معاد اليهود إلى فلسطين وإن حصل فعلا

### إلا أنه لا يدوم طويلا

إن طباع اليهود وخصالهم التي فطروا عليها كشدة مكرهم وعنادهم ولؤمهم، وكثرة غدرهم وعدوانهم وظلمهم، وكغلظة أكبادهم وصلابة رقابهم وقسوة قلوبهم، وكتخصيصهم المنفعة ببني قومهم وكراهيتهم أن تصل أي منفعة منهم إلى غيرهم، وكأنانيتهم

وكثرة حبهم لذاتهم شأنهم في كل أدوار حياتهم لا تمكنهم طويلا من التمسك بهذين الحبلين بل لا بد وأن يغضب العالم منهم وتتألب الأمم عليهم بسبب تمكن هذه الخصال القبيحة فيهم فينفلت منهم حبل الناس وحبل الله معا ويرجعون إلى ما كانوا عليه لأن ما بالطبع لا يتغير وإلى هذا أشارة القرآن الحكيم بقولة في سورة الأعراف (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب) أي أنه وإن كان قد يحصل لهم مجد وملك وسلطان، في بعض الأمكنة والأزمان، إلا أنه بسبب ما هم عليه من الأخلاق والطباع ومن الأنانية والمكر واللؤم والخداع لا بد وأن يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب أي أن بعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب يتعاقب عليهم بتعاقب ما يستوجبه ويزول بزواله وهكذا غلى يوم القيامة. ومعنى قولة (أن ربك لسريع العقاب) أي أنه يعاقب لعلى الشيء حالا وسريعا حتى يؤوبوا إلى رشدهم وأنهم إن عادوا إلى ما كانوا عليه أعاد الله عليهم عقابه كما قال تعالى في حقهم (وإن عدتم عدنا) .
ومما يدل على أنهم مفطورين على مثل هذه الأخلاق القبيحة والصفات الذميمة وأنهم لا بد وأن يعودوا إلى ما فطروا عليه وأنهم لا بد وأن ينفلتوا من هذين الحبلين قوله تعالى في حقهم: (وجعلنا منهم القردة والخنازير) وقوله في آية أخرى (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) فتحويل الله تعالى طباعهم وأخلاقهم من طباع وأخلاق الإنسانية إلى طباع وأخلاق القردة والخنازير يدل على أنهم مهما تكلفوا الأخلاق الحسنة وتصنعوا في تمسكهم بها لا بد وأن تغلب عليهم طباعة القردة والخنازير التي خلقها الله فيهم وكونها في نفوسهم بقوله لهم (كونوا قردة خاسئين) فكانوا حسبما حكم وأمر، وحسبما كون وفطر.

فالمراد من جعلهم قردة وخنازير أنهم يكونون كالقردة والخنازير في الطباع والأخلاق كسرعة التقلب من حال إلى حال، وعدم الثبات والاستقرار، وعدم نفع التأديب، بالزجر والتعذيب، وكالخداع والمكر واللؤم والغدر، وعدم الغفيرة على الشرف والعرض، ونحو ذلك من صفات الخنزير والقرد، وليس المراد أنهم انقلبوا قردة فعلا وصاروا خنازير حقيقة كما قال بذلك أكثر المفسرين لأن ذلك غير معقول ومخالف لسنة الله في الخلق. وبالجملة فإن الأدلة قائمة على أن اليهود مهما حصل لهم من الملك والسلطان، فإنه لا بد وان ينزع منهم في أقرب وقت وزمان وإن ينفلت هذان الحبلان، وأن يرجعوا غلى ما كانوا عليه من الذلة والهوان.

## السبب في كثيرة وجود الأنبياء

## في بني إسرائيل

إن التوراة قد أفاضت ببيان عدم استدامة اليهود على ما فه عزهم ومجدهم وأكثرت من ذكر الحوادث التي تدل على عدم استقرارهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم مما استوجب أن يرسل الله إليهم أنبياء كثيرين تزجرهم وتهددهم حتى فاق عدد أنبياء إسرائيل الرقم القياسي بالنسبة للأمم الأخرى الذين لم يحتاجوا في إصلاحهم إلى معشار عشر ما احتاج إليه اليهود من الأنبياء والمصلحين مما يلد على أن استقامة أحوالهم واستدامة إصلاحهم واستبقاء عزهم ومجدهم وملكهم قد أعيت أنبياءهم المتعاقبة أعجزت رسلهم المتتابعة مع أن الله تعالى لم يرسل لكل أمة إلا رسولا واحدا كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) وقال في آية أخرى (ولكل أمة رسول).

ولفظ رسول قد يطلق على رسول الإصلاح في الأمور المادية الدنيوية كرسل الإصلاح المادي ورسل الاختراع الدنيوي الموجودين في الغرب.

هو منبت الرسل الماديين الذين يسمون برسل الإصلاح المادي كمخترعي الكهرباء والراديو والتليفون والتلفزيون والتلغراف اللاسلكي والطاقة الذرية والطائرات والسيارات والسكك الحديدية وغير ذلك من الاختراعات الكثيرة النافعة لبني الإنسان والمفيدة لعموم البشر التي أتى بها رسل الإصلاح المادي في الغرب. وعليه فرسل الإصلاح المطلق موجودون في كل أمة من أمم الأرض كما يصرح بذلك القرآن الكريم إلا أن الله تعالى قد خص الشرق برسل الإصلاح الروحي الديني وخص الغرب برسل الإصلاح المادي الدنيوي وكلاهما يعمل بإلهام الله وأمره.

وبالجملة فإن اليهود الذين هم من سكان الشرق مهبط الرسالة الروحية ما كثرت فيهم الأنبياء دون غيرهم ولا تعددت الرسل الروحانيون فيهم دون سواهم إلا لكثرة انقلابهم على أعقابهم في الأخلاق والأمور الروحية على عجل وفي أقرب وقت من إصلاحهم. وهذا ما امتلأت به أسفار التوراة في إصحاحاتها المتعددة وأفاضت فيه بما لا يكاد يحصى مما يطول شرحه وبيانه.

كما أن القرآن الكريم قد أفاض أيضا في بيان ذلك وفي ذكر قبيح أعمالهم مع أنبيائهم ورسلهم حيث قال تعالى، بقرة ٨٧ خطابا لهم (أفلكما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون). وقال في آية أخرى عنهم، مائدة ٧٣:- (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون). وقال أيضا:- (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة). وقال أيضا:- (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) إلى غير ذلك من آيات القرآن الكثيرة التي تبين سوء أعمالهم مع جميع الناس حتى الذين يأمرون بالقسط والعدل مما يفيد عدم صلاحيتهم زمنا طويلا للأعمال التي تستلزم بقاء الملك والسلطان.

وإذا كان الأنبياء والمرسلون قد عجزوا عن إصلاحهم واستبقاء الملك والسلطان في أيديهم أفلا تعجز عن ذلك ملوك أوروبا الذين ما ساعدوهم الآن على ملكهم في فلسطين بوعد بلفور وما تبعه من المساعدات الأخرى إلا لمصالح خاصة وأغرضا وغايات ذاتية تنقضي تلك المساعدات بانقضاء هذه المصالح والأغراض والغايات وعندها يرجعون إلى ما كانوا عليه من قبل من الذل والهوان وضياع الملك والسلطان في قريب من الزمان. وعليه فلا بد وأن تتلاشى وعود الدول الغربية أمام وعد الله في كتبه السماوية لأن الوعود السياسية الأرضية لا تقوى على مقاومة الوعود الإلهية السماوية بل لا بد وأن يخرج اليهود من فلسطين ولو بعد حين تحقيقا لوعيد الله بسومهم سوء العذاب إلى يوم الدين.

## عدم التناقض بين آيات القرآن

## في موضوع عودة اليهود إلى فلسطين

### جوابا لسؤال في ذلك

وبما قدمناه من البينات يتضح أن لا تناقض بين آيات القرآن المتعلقة بهذا الشأن كما يظن بعض ذوي الأوهام ويتضح أيضا أن القرآن وحده هو الذي نزه الكتب السماوية عن شبهة التناقض أو مخالفة ما هو الآن واقع بسبب استثنائه تمسك اليهود بهذين الحبلين اللذين لا يمكن أن يدوما معهم طويلا حسبما بيناه ثم أن هذه الآية القرآنية وهي قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) وإن كانت نازلة في حق اليهود غلا أنها تصدق على كل أمة ضرب عليها الذل كاليهود في أي أمة من الأمم فإنها إذا تمسكت بحبل الله وحبل الناس لا بد وأن يزول عنها ذلها وهوانها وأن تصبح ذا عزة ومجد وملك وسلطان. وإن كل أمة انفلتت من هذين الحبلين لا بد وأن تضرب عليها الذلة حسب سنة الله في خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وعليه فالآية القرآنية وإن كانت قد نزلت في حق اليهود إلا أنها تعني أمورا طبيعية عامة، وسننا كونية جارية في كل أمة من الأمم الماضية والحاضرة والآتية بلا تمييز بين أمة وأخرى ولا اختصاص بأمة دون سواها. وهذا يدل على أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب المقدسة الذي أنزل للناس كافة في جميع الأزمنة وأنه خاتم الكتب السماوية الذي يتكلم عن ما جريات الكون إلى يوم القيامة كما تكلم في هذه المسألة.

هذا ما أفهمه في هذه الآيات القرآنية جوابا عن الأسئلة والاعتراضات التي أوردها الناس على الكتب المقدسة بمناسبة ما حصل لليهود من الملك والسلطان في فلسطين هذه الأيام المناقضة بحسب الظاهر لما تفيده الآيات الأخرى. وحينئذ فجميع آيات الكتب المقدسة الواردة في حق اليهود هي صحيحة لا ريب فيها غير أنه مستثنى منها حالة واحدة هي حالة تمسكهم بالحبلين المتقدمين اللذين انفرد بذكرهما القرآن واللذين بهما زال التناقض بين هذه الآيات واندفع بهما الإشكال.

## ما قاله المفسرون في معنى قوله تعالى

**"ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل**

**من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة"**

**وبيان ضعف ما قالوه**

إن المفسرون قالوا أن المعنى المراد من قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة) هو أن يحاربوا ويقتلوا وتغنم أموالهم وتسبى ذراريهم وتملك أراضيهم وأن المراد من قوله (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) أي إلا بعهد وذمة وأمان من الله ومن المؤمنين، فعند ذلك تزول هذه الأحكام؛ فلا قلت ولا غنيمة ولا سبي، وإن المراد من قوله: (وضربت عليهم المسكنة) أي الجزية وذلك لأنه تعالى قد أخرج (المسكنة) عن (الاستثناء) حيث ذكرها بعده وهذا يدل على أنه لا استثناء فيها بل هي باقية عليهم والباقي عليهم ليس إلا الجزية. انتهى.

وقال الأستاذ الإمام (الذلة ضرب خصوص من الذل لأنها من الصيغ التي تدل على الهيئة) قيل المراد بها هنا الجزية، وقيل ما يحدثه في النفس فقد السلطة فالذلة حالة تعتري الشخص من سلب غيره لحقه وهو يتمناه فمنشؤها منه لا من غيره، ومعنى الآية أن حالة اليهود معكم أن يكونوا أذلاء مهضومي الحقوق رغم أنوفهم إلا بحبل من الله وهو ما قررته شريعته تعالى لهم إذا دخلوا في حكمهم من المساواة في الحقوق والقضاء وتحريم إيذائهم وهضم شيء من حقوقهم. وحبل من الناس وهو ما تقضيه المشاركة في المعيشة من احتياجكم إليهم واحتياجهم إليكم في بعض الأمور أي فهذا القدر المستثنى من عموم الذلة لم يأتهم من أنفسهم وإنما جاءهم من غيرهم فهم لا عزة لهم في أنفسهم لأن السلطان الملك قد فقد منهم) انتهى.

قال الأستاذ الشيخ رشيد رضا بعد نقله ما تقدم عن الأستاذ الإمام (وأنت ترى أن الذي قاله الإمام أظهر وأشد انطباقا على الواقع فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسن معاملتهم، ويقترض منهم وكذلك كان الخلفاء الراشدون يفعلون) ثم قال بعد ذلك (وهل ترفع عنهم المسكنة فيكون لهم ملك وسلطان في يوم من الأيام. الجواب على هذا يحتاج إلى بسط.

فأما من الجنة الدينية فهم يقولون بأنهم مبشرون بذلك بظهور المسيح (مسيا) فيهم ومعناه ذو الملك والشريعة والنصارى يقولون أن هذا الموعود به هو عيسى بن مريم عليه السلام والمراد بالملك الذي يجيء به الملك الروحاني المعنوي. وفي إنجيل برنابا عن المسيح أن ذلك الموعود به هو محمد صلى الله عليه وسلم فهم الذي جاء بالنبوة التي استتبعت الملك. وأما من الجهة الاجتماعية فيبحث فيه عن تفرقهم في الأرض على قلتهم وعن انصرافهم عن فنون الحرب وأعمالهم وضعفهم في الأعمال الزراعية لعنايتهم بجمع المال من أقرب الموارد وأكثرها نماء وأقلها عناء كالربا) انتهى.

أقول أن من يتأمل كلام المفسرين بما فيهم الأستاذ الإمام والشيخ رشيد رضا يظهر له أنهم يقولون جميعا أن المستثنى من الذلة قد حصل لهم فعلا فيما مضى بما شرعه الإسلام من عدم جواز محاربتهم وعدم سبي ذراريهم ومساواتهم للمسلمين في الحقوق والقضاء وتحريم إيذائهم حيث أنه وجد لهم حبل الله وحبل الناس وهما عهد الله وعهد المسلمين لهم وتأمينهم وعدم هضم حقوقهم وارتباطهم بالمسلمين في المعيشة واحتياج بعضهما إلى بعض.

ولكنني أقول أن المستثنى من الذلة هي العزة لأنها هي المقابلة لها.

والعزة لا تكون حقيقة إلا بالاستقلال بالملك والسلطان وهي لم تحصل لليهود في الإسلام، وخصوصا وإن ما ذكره المفسرون من العهد والتأمين وعدم هضم حقوقهم من طرف المسلمين لا ينافي بقاء الذلة عليهم. ولم يرفعها الله عنهم غلا في هذه الأيام لأنهم كانوا في الإسلام محكومين لغيرهم لا ملك لهم ولا سلطان فالذلة باقية عليهم، والمستثنى منها وهي عزة الاستقلال لم تحصل لهم إلا في هذا الزمان.

وأما المسكنة فبالنظر لكونها صفة نفسية وليست حاصلة من الغير لا يمكن استثناء الحبلين المذكورين منها اللذين هما حاصلان من الغير وهذا هو السبب في تأخير ذكر المسكنة عن هذا الاستثناء في الآية الكريمة فالمسكنة لا استثناء فيها أصلا وهذا يدل على أن هذه المسكنة ستبقى مضروبة عليهم لأن منشأها من نفوسهم ومن مقتضى جبلتهم وطبيعتهم المفطورين عليها. وقد ذكر

الله في القرآن بعض الأسباب التي أوجبت استبقاء المسكنة عليهم عقابا لهم على أعمالهم الفظيعة القاسية الظالمة كقتلهم الأنبياء بغير حق واعتدائهم على الناس بغير ذنب وكفرهم بآيات الله وعدم شكرهم لنعمائه وآلائه التي كان قد أسبغها عليهم.

وأما قول أكثر المفسرين بأن المراد من المسكنة المضروبة عليهم بلا استثناء هي الجزية حيث أنه لم يبق عليهم إلى الآن سواها فهو قول في غير محله.

أولا: لأنها وإن كانت باقية عليهم إلى زمن هؤلاء المفسرين إلا أنها ليست باقية عليهم إلى زماننا هذا.

ثانيا: لأن الجزية ليست من مقتضيات المسكنة الحاصلة من النفس وإنما هي من مقتضيات الذلة الحاصلة من الغير.

ثالثا: لأن الجزية كانوا قد تخلصوا منها قبل أن يتخلصوا من الذلة التي هي عدم استقلالهم بالسلطة والملك حسبما قدمنا فالذلة لم يتملصوا منها إلا في هذه الأيام وأما الجزية فإنهم قد تملصوا منها من قديم الزمان وحينئذ فلا يصح أن يفسر بقاء المسكنة عليهم إلى الآن ببقاء الجزية.

وقد نقل الشيخ رشيد رضا في تفسيره عن الفخر الرازي أن المراد من (حبل الله) المستثنى هو الجزية أي الذمة التي تحصل بقبولهم دفع الجزية. ومن (حبل الناس) هو ما فوض إلى رأي الإمام فيزيد فيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد.

أقول: وهذا أيضا ضعيف لأن الذلة لا ترتفع بقبول دفع الجزية بل تزداد بها. وعلى كل فما قلناه في هذا الموضوع من أن المراد من حبل الله هو الإتحاد وعدم التفرق ومن حبل الناس الاتفاق معهم، والمعاونة والمساعدة منهم بالنظر لكونه موافقا للحالة الحاضرة الواقعية، ومنطبقا على معنى الآية القرآنية يكون أولى بالقبول من غيره والله أعلم بمراده.